

جماليات الإيقاع التكراري في القصيدة الشعبية الجزائرية

Aesthetics of repetitive rhythm in the Algerian popular poem

د- ليلي مهدان

جامعة خميس مليانة - عين الدفلى - (الجزائر)

الملخص:

يعتبر الإيقاع التكراري من الظواهر الأسلوبية التي تستحق عناية بالغة من قبل الدارسين، نظرا لما له من تأثير على المستوى الدلالي والمستوى الجمالي، فالتكرار وثيق الارتباط ببناء القصيدة إلى درجة أنه يأخذ في بعض الأحياء شكل اللازمة، وهذا ما استرعى انتباهنا في القصيدة الشعبية الجزائرية، حيث عمد الكثير من الشعراء الشعبيين إلى تبني هذا الأسلوب لأجل تلبية حاجات فنية وأخرى دلالية، وهو ما سنحاول الوقوف عنده في هذه الورقة البحثية.

الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي، الإيقاع، التكرار، الدلالة، البعد الفني.

Abstract:

The repetitive rhythm is one of the stylistic phenomena that deserve great attention by scholars, due to its impact on the semantic level and the aesthetic level. Repetition is so closely related to the construction of the poem that it takes in some neighborhoods the necessary form, and this is what drew our attention in the Algerian popular poem, where Many popular poets have adopted this method in order to satisfy artistic and semantic needs, which we will try to address in this research paper.

Key words: folk poetry, rhythm, repetition, connotation, artistic dimension..

*** **

مقدمة:

يشكل الإيقاع في النص الشعري الشعبي الجزائري أهم بنية يمكن العودة إليها في خضم البحث عن جماليات هذا النص أو ذاك، كونه يتحكم في التشكيل الصوتي وفي نسج الأفكار والصور ضمن قالب شعري موسيقي بإمكانه أن يعطي للنص دلالات متعددة ومتجددة في الآن ذاته، فالإيقاع يؤلف بين المظاهر المتناقضة ويجعلها تتقاطع في نقطة هي جذر الفاعلية في النص، وهي التي يتحدّ عندها الشكل بالمضمون، وهذا ما يجعل دراسة الإيقاع الشعري تساهم في البحث عن المعنى ووسائل تقديمه وتشكيله، وعنصر الإيقاع يعد العلامة النوعية الأبرز في تجسيد شعرية النص¹.

ووفق هذا المنظور نجد أن "الإيقاع هو خط عمودي يخترق جسد النص من أعلاه إلى أسفله متقاطعا مع خطوطه الأفقية في نقطة ارتكاز محورية، وهذه الخطوط الأفقية هي الوزن والصور والأفكار واللغة التي تظل كتلا جامدة لا حياة فيها إلى أن يخترقها خط الإيقاع"²، فالنص الشعري فصيحاً كان أو شعبياً يتكون غالباً من بنيات إيقاعية صغرى تشكل مجتمعة بنية إيقاعية كبرى هي النص ككل، "وتعبر البنية الإيقاعية الجزئية عن الصوت المنفرد الذي يقوم بدور أساسي في تشكيل البنية الإيقاعية الكلية، حيث يتداخل هذا الصوت المفرد مع الأصوات الأخرى الموجودة في النص تتشكل البنية الإيقاعية الصوتية الكبرى التي تقوم على التقاء مجموعات من التشكيلات المتعددة والمتداخلة"³.

وهذا الأمر بطبيعة الحال يعود إلى الشاعر في حد ذاته وفي مزاجيته أثناء فعل

الكتابة، الأمر الذي "جعل التشكيل الموسيقي في مجمله خاضعاً خضوعاً مباشراً للحالة النفسية أو الشعورية التي يصدر عنها"⁴، وعليه يمكن القول أن تكرار الصوت الواحد بشكل لافت للانتباه ضمن بنيته الكلية التي ينتمي إليها يسهم في خلق الإيقاع أو الموسيقى الكلية للنص.

وللإفادة فإن الشاعر الشعبي يعمد إلى التكرار خدمة لمتطلبات فنية ودلالية، وقد يكون التكرار متعلقاً بحرف كما قد يكون متعلقاً بكلمة أو جملة وبطرق مختلفة، وكل هذا في سبيل منح النص طاقة جمالية ودلالية متجددة مع كل فعل قرائي، كما أنه يلعب دور الشفرة الفنية التي تساعد المتلقي على كشف العديد من المضمّنات في النص، فضلاً عن كونه تقوية للمعنى وتوكيد عليه، حيث "يأتي في الكلام تأكيداً له وتشجيلاً من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك، إما مبالغة في مدحه أو ذمه، أو غير ذلك"⁵، وهذا ما نلاحظه في نص الشاعر الشعبي امحمد بن الربيع⁶:

بسم الله مفتاح كنز لا يوجد

والبسمالة من تدخل بالو

الصلاة على النبي محمد

شفيح الأمة الي بيه ينالو

أرضي على عشرة صحابو فالمسجد

والميعاد على يمينو وشمالو

قد الملك وقد ما فوقو راقد

جماليات الإيقاع التكراري في القصيدة الشعبية الجزائرية

قد الخلق الخالقة قد قبّالو
الجاهل واللي بطاها مشهد
والميت والحي نسوة ورجالو
شريف التسمية اللي أسمه أحمد
صلوا عنو قد ما شاف قبّالو
قد شهر وسنين حمان وتبرد
قد نهار وليل وميزان عدالو⁷

يتضح من خلال هذا المقطع أن الشاعر امحمد ابن الربيع تقصّد تكرار حرف الشين في أبياته الشعرية التي الثناء على سيد الخلق محمد صل الله عليه وسلم مع تعمد التنوع في إيقاعاته الداخلية من أجل تكوين "تجمعات صوتية متماثلة أو متجانسة، وهذه التجمعات إنما هي تكرار لبعض الأحرف التي تتوزع في كلمات البيت أو مجيء أحرف تجانس أحرفا في الكلمات وتجري وفق نسق خاص"⁸.

من الأمثلة التي يعتمد فيها الشعراء الشعبيين إلى تكرار حرف معين نذكر قصيدة أحمد بن مصطفى العلاوي المستغامي⁹ التي نظّمها حول حال العلاقات الاجتماعية بين بني البشر، وعن سلوكياتهم، حيث نجده يكرر حرف العين بشكل لافت للنظر كما هو واضح في المقطع الذي يقول فيه:

أعطاني ربي سُوالي
كفاني مولى الهديا
هداني ثم هدى لي

حلة منه مرضيا
سقاني من كأس غالي
أعز من الكيميا
رفعني مقعدا عالي
أعلى من نجم الثريا
إن طلبتني يا ولي
فأسأل عني الربوبيا
أنظرني فوق المعالي
عساك تعثر عليا
لا تطلبني في الأبدال
ولا من عند الصوفيا
ولا من أهل الكمال
ولا عند الروحانيا¹⁰

نستشف من هذا المقطع أن التكرار يحمل وظيفة مهمة تكمن في التأثير على المستوى الدلالي باعتبار أنه "تجلية للمعنى وتزكية له، أو رغبة من الشاعر في التوكيد والتفصيل، ومن ثم تنمية المعنى وبلورته"¹¹، فالتكرار في هذا المقطع جاء كمعادل لحالات انفعالية لدى الشاعر، ومن ثم تحويلها إلى المتلقي لجعل اللحظات الشعورية مسألة مشتركة بينهما.

من القصائد الشعبية التي عمد أصحابها إلى خلق إيقاع داخلي عبر أسلوب التكرار نذكر قصيدة لخليفة بوزيد¹² تحكي عن

فقدان الأب الذي يعد السند الأول لأولاده،
يقول في جزئية منها:

يا خوتي برونوس كان مدفيني

زاهي بيه وجاي تحت الجنحاني

فارج بيه وطانو ما يخطيني

وما ني داري بالمصايب تصفاني

ما ظنيت يروح بالزهد عني

وما ظنيت يغيب مصباح عياني

ما ظنيت حبيب قلبي

يهجري وسافر بلا وداع عز انخلاني

ما ظنيت تجي الفرقة يا حزني

بعد العز كيفاش نرجع بأحزاني

بعد العشرة الطابيلة يا سامعني

بعد الولف وبعد طول الزماني

قدر عنا يا الفاهم خالقني

البرنوس أداه وأنا بكاني

البرنوس الأب يا من تفهمني

ومن غيرو ماليش فالدنيا ثاني¹³

يعكس التكرار الذي وظفه الشاعر
خليفة بوزيد عبر ورود عبارة (ما ضنيت) في أكثر
من موضع إحياءات نفسية وشعورية هائلة تحكي
لوعة الفقد وهجران الأحبة بفعل الموت، وهذه
التكرار له مزية أخرى على النص، هي مزية ذات

بعد جمالي، ف"فضلا عن دلالاته النفسية يحمل
دلالات فنية تكمن في تحقيق النغمة والخفة في
الأسلوب، ما يضيفي على النص قدرة أكبر في
التأثير على المتلقي"¹⁴.

من أنواع التكرار التي نجدها أيضا في
النصوص الشعرية الشعبية الجزائرية نذكر
التكرار الاستهلالي، بحيث يكرر الشاعر كلمة أو
جملة أو مقطعا طويلا في مستهل كل بيت من
القصيدة الواحدة بغاية لفت انتباه القارئ أو
المتلقي المستمع بالإضافة إلى رغبته في
"الإحاطة بوضع شعري معين ومنحه سمة دلالية
واقعية محددة، ليس من خلال التكرار ذاته،
بل من خلال ظلاله ومتعلقاته اللغوية والدلالية
كذلك"¹⁵، ويتحقق هذا النوع من التكرار في
قصيدة لأبو مدين بن سهلا¹⁶ بعنوان الجواهر
الحسان، يقول فيها:

كيف عملي وحيلتي

لمن نشكي بهذا الأمر

كيف عملي وحيلتي

يا ولفي صابغ الشفر

كيف عملي وحيلتي

لمن نشكي بليعتي

امشي رسلي المنيتي

ساعة جاني بشي الخبر

منه تقوات دمعتي

افنيت وخاطري انقهر

جماليات الإيقاع التكراري في القصيدة الشعبية الجزائرية

كيف عملي وحيلتي

لمن نشكي بهذا الأمر

البارح يا العامة

امشي رسلي لفاطمة

قال لها يا القايمة

الله بركا من الهجر

بالواحد رافع السما

سلتك يا صايغ الشفر

كيف عملي وحيلتي

لمن نشكي بهذا الأمر¹⁷

يتضح من خلال هذا المقطع الشعري أن الشاعر عمد إلى تكرار البيت الأول أكثر من مرة الأمر الذي منح القصيدة تدفقا كبيرا للشحنات العاطفية التي تتحقق عبر الحركات الإيقاعية المكررة، ومما ينبغي مراعاته في هذا التكرار هو أن "يوحد القصيدة في اتجاه يقصده الشاعر، وإلا كان زيادة لا غرض لها"¹⁸، بمعنى أن هذا التكرار لابد أن يكون خادما للبنية الكلية للنص مما يضمن انسجامها وتماسكها.

هوامش البحث:

¹ ينظر، مسعود وقاد، جماليات التشكيل الإيقاعي في شعر عبد الوهاب البياتي، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011، ص11، وص35.

² علوي الهاشمي، فلسفة الإيقاع في الشعر العربي، ص24/23.

³ محمد شادو، جماليات التشكيل الإيقاعي في جدارية محمود درويش، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، ع8، سبتمبر 2015، ص209.

⁴ عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، المكتبة الأكاديمية، ط5، القاهرة، 1994، ص55.

⁵ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، دط، بيروت، 1999، ص44.

⁶ شاعر شعبي جزائري من مواليد عام 1945، لقب بالعيزوزي، نسبة إلى قبيلته التي تسمى بهذا الاسم، عرف بكثرة تنقله، حيث تنقل عبر ولاية الجلفة، إذ مكث طويلا بزاوية (سيدي امحمد بن مرزوق)، ثم ضواحي مليانة بولاية عين الدفلى حيث يقيم أهله حاليا، وقيل إن صيته الشعري ذاع في الافاق ربما بسبب جودته وربما بسبب تنقلاته عبر فضاءات عديدة، ينظر، العربي دحو، شعراء الشعر الشعبي في الجزائر، جمعية البيت للثقافة والفنون، دط، الجزائر، 2008، ص39.

⁷ العربي دحو، شعراء الشعر الشعبي في الجزائر، ص40/39.

⁸ مسعود وقاد، جماليات التشكيل الإيقاعي في شعر عبد الوهاب البياتي، ص144.

⁹ شاعر شعبي من مواليد عام 1871، من شيوخ الزوايا، ومؤسس لأحداها في مستغانم، أصدر مجلة تعنى بتوجهه، توفي سنة 1934 ودفن بالزاوية الكبرى بحي تاجديت بمستغانم، ينظر، العربي دحو، شعراء الشعر الشعبي في الجزائر، ص50/49.

¹⁰ العربي دحو، شعراء الشعر الشعبي في الجزائر، ص51/50.

¹¹ رشيد شعلال، البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، رسالة ماجستير، جامعة عنابة، 1993، ص252.

6. محمد شادو، جباليات التشكيل الإيقاعي في جدارية محمود درويش، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، ع 8، سبتمبر 2015.
7. محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة (بين البنية الدلالية والإيقاعية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، مسعود وقاد، جباليات التشكيل الإيقاعي في شعر عبد الوهاب البياتي، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011.
9. نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، مطبعة دار التضامن، دط، بغداد، 1965.

- ¹² شاعر شعبي من مواليد 1940، من فرقة السواري التابعة لبلدية العوينات بالبدية، انتقل إلى الجزائر العاصمة ليقوم بأسطوالي ويعمل في مؤسسة وطنية، تعامل مع الشاعر عبد الرحمان قاسم الذي رعاه وشجعه واستضافه في برنامجه الإذاعي ألوان وفنون من الشعر الملحون، فضلا عن إجادته للغناء، وافته الهنية عام 1981، ينظر، العربي دحو، شعراء الشعر الشعبي في الجزائر، ص 157.
- ¹³ العربي دحو، شعراء الشعر الشعبي في الجزائر، ص 157/158.
- ¹⁴ عثمان مقبرش، الخصائص الأسلوبية في مدونة قالت الورد، شعر عثمان لوصيف، مذكرة ماجستير، 2008/2007، ص 71.
- ¹⁵ محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة (بين البنية الدلالية والإيقاعية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، ص 118.
- ¹⁶ شاعر شعبي سلك طريق أبيه في نظم الشعر والميل إلى الغزل، وتفنن في وصف الحبيب، ومجالس الطرب واللهو، وذكر آلام الفراق والهجران، فقد بصره في آخر حياته، توفي في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي. ينظر، العربي دحو، شعراء الشعر الشعبي في الجزائر، ص 20.
- ¹⁷ العربي دحو، شعراء الشعر الشعبي في الجزائر، ص 21/20.
- ¹⁸ نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، مطبعة دار التضامن، دط، بغداد، 1965، ص 236.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، بيروت، دط، 1999.
2. رشيد شعلال، البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، رسالة ماجستير، جامعة عنابة، 1993.
3. عثمان مقبرش، الخصائص الأسلوبية في مدونة قالت الورد، شعر عثمان لوصيف، مذكرة ماجستير، 2008/2007.
4. العربي دحو، شعراء الشعر الشعبي في الجزائر، جمعية البيت للثقافة والفنون، دط، الجزائر، 2008.
5. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، المكتبة الأكاديمية، ط 5، القاهرة، 1994.